استدلالات إبراهيم الخليل العقلية القرآنية على بطلان عبادة الأصنام

د. صالح بن محمد مبارك مُطَهَّرْ[1]

ملخص البحث

لقد خص الله تعالى عباده المؤمنين بوحيه المعصوم فجعله حياة لهم، ومرشدا وهاديا لعقولهم، فعملت أمة الإسلام على تعظيم نصوصه، وأقامت حياتها عليه، لإدراكها أن حياتها كامنة فيه، وبأن الوحي لم يأت للحجر على العقل، أو إلغائه، وإنما جاء ليفتح له آفاقا رحبة صحيحة من العلوم والمعارف، وليكمل له جوانب النقص والقصور التي عنده، وبالذات في الأمور التي لا يقدر العقل إدراك حقيقتها، كالغيبيات.

فالعلاقة بين الوحي والعقل علاقة بناء وتكامل، لا تضاد ولا تعارض، بخلاف ما قد يظنه البعض ممن غالوا في العقل، وجفوا الوحي؛ وهذا هو منهج القرآن الجامع بين النقل والعقل، والذي لا يخاطب إلا العقلاء والذي عمل على المحافظة على العقل وحمايته من كل ما قد يؤذيه.

وقد كان أنبياء الله ورسله- عليهم السلام- أذكى الناس وأكيسهم، ومنهم خليله إبراهيم (عليه السلام) الذي تميز بحسن استدلالاته العقلية، وقوة حججه البرهانية على إبطال الشرك، وقد رسم القرآن الكريم ذلك المنهج الإبراهيمي الاستدلالي، والذي يقوم على المنطق صحيح، والحجج الواضحة، والمضامين العميقة؛ إنه منهج من السهولة بمكان حيث يستطيع أي أحد صياغته والعمل به، وذلك من خلال أسئلة تجعل من يجيب عليها يسلّم ببطلان عبادة الأصنام، وعدم أهليتها للألوهية، مع أن قوم إبراهيم (عليه السلام) ليسوا من الغباء في شيء، فهم البارعون في الجدل والمناظرة، إلا أن الخليل (عليه السلام) أيده الله ففاقهم، فعجزوا عن إي إجابة سليمة تثبت صحة ما هم عليه؛ غير شبهة التعصب والتقليد الأعمى لموروثات الآباء الفاسدة.

١- أستاذ العقيدة والدراسات الإسلامية المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد.

وقد دعا الخليل آباه وقومه إلى إفراد الله بالعبادة وأبان لهم الحق بالحجج القولية بطلان عبادة الأصنام؛ فلما رأى (عليه السلام) عدم انتفاعهم بالقول قرر الإنتقال إلى مرحلة الفعل المحكم، فعزم على تكسير معبوداتهم إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، ولما سألوه عمن كسر أصنامهم!؟ أجابهم إجابة حيّرتهم، فطلب منهم أن يسألوها!!، فنكسوا على رؤوسهم، لأنهم إن قبلوا سؤالها خالفوا عقولهم، لعدم قدرتها على الكلام، فظهر بذلك ضلالهم، ويكونوا قد أقروا بعجز آلهتهم، وإن لم يقبلوا يكونوا قد رضوا بإهانتها؛ وعندئذ لجأوا إلى أسلوب البطش والجبروت، كما هي عادة المتكبرين العجزة، فقرروا إحراقه الخليل (عليه السلام)؛ إلا أن ذلك-أيضاً- عاد عليهم بالخسران، فلم يتم لهم ما أرادوا، لأن المعبود الحق الذي يعبده إبراهيم (عليه السلام) حفظ خليله من النار بخلاف آلهتهم الباطلة التي عجزت عن حماية نفسها، فضلاً عن حماية عابديها، فأراهم الله آية أخرى، حيث سلب النار قدرتها على الإحراق، فلم تحرق الخليل (عليه السلام).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أكرم الله تعالى الإنسان وميزه بالعقل دون بقية المخلوقات، مما يوجب على صاحبه استخدامه الاستخدام الأمثل، فتكون تصرفاته رشيدة، وأفعاله صحيحة، وآراؤه سديدة؛ لأن العقل السليم يقيم حياة صاحبه على نور وبصيرة في جميع أموره التي يتعاطاها، وتظهر بذلك فاعليته ورجاحته، وإن أهم أمر يجب أن يستخدم الإنسان عقله فيه، ما يتعلق بمعتقداته وعباداته، لأن العقيدة الصحيحة هي المحرك الحقيقي للإنسان للحصول على السكينة

والثبات، وبها تتحقق السعادة، وبدونها تنعدم.

والعقل الإنساني قاصر محدود لأنه يستمد أحكامه على الأشياء مما تمده به الحواس الخمس المحدودة، ولذا فإن الإنسان لا يستطيع بعقله المجرد إدراك حقائق كثير من الأشياء، وبالذات ما يتعلق بالغيبيات، ومن ذلك إدراكه للغاية المثلى التي خلقه الله من أجلها؛ ولسد هذا الخلل، وإكمال النقص الكامن في العقل الإنساني؛ أكرم الله الإنسان بوحيه، ليكون نوراً له وهادياً ودليلا؛ يهتدي به لسلوك أقوم طريق، وأسمى سبيل في الحياة الدنيا والآخرة، وقد قام بتبليغ وحي الله أفضل خلقه من أنبياء ورسل اختارهم الله واصطفاهم لأداء هذه المهمة العظيمة، فقاموا- عليهم السلام- بإرشاد أقوامهم للحق والصواب، ونهيهم عن الكفر والضلال؛ سيما وأن أقوامهم الذين بعثوا فيهم قد بلغوا غاية من الانحطاط التعبدي، والفساد الاعتقادي، والتبلد العقلي، وحجتهم الوحيدة فيما عليه، التقليد والتعصب الأعمى لموروثات الآباء الفاسدة، فقد كانت الأقوام يمارسون عبادات باطلة، ويعتقدون اعتقادات مشينة يمجها كل صاحب عقل سليم، وبصيرة راشدة؛ حيث عبد القوم أصناماً صنعوها بأيديهم، واعتقدوا فيها النفع والضر، وهي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تتكلم، والأصل في الإله الحق؛ أن لا يكون كذلك.

أهمية الموضوع:

إن فشو الكفر العقدي، والإنحطاط العقلي لا يمكن أن يبقى مشاعاً بين الناس لا ينكر على فاعليه؛ ولذا كلف الله رسله- عليهم السلام- بمحاربته، وأيدهم لذلك بآيات وبراهين تدل على صدق دعوتهم، وتدمغ أباطيل أقوامهم، بشتى أنواع الحجج العقلية، واللسانية، والعملية، وبالذات فيما برع فيه أقوامهم. إضافة إلى إكتمال شخصيات رسل الله- عليهم السلام- الكمال الإنساني؛ فهم أسمى الناس إيماناً وعقلاً وخلقاً، وأنضجهم فكراً؛ إذ كيف سيعملون على تحرير عقول أقوامهم الخاملة، وتقويم أفكارهم الضالة وهم

دونهم عقلاً وفكراً !؟، وقد ظهر ذلك في حسن تصرفاتهم مع مدعويهم، وقدرتهم على مناظراتهم، وكشفهم لزيف الباطل الذي هم عليه بالحجج العقلية، والبراهين الشرعية؛ وممن تحققت أهليته، واكتملت شخصيته، سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)، والذي قص الله علينا العديد من حواراته المفحمة مع أبيه وقومه، وحسن استدلالاته العقلية المقنعة، حتى إن المتأمل في تلك الحوارات والاستدلالات يرى أسلوباً راقيا، ومنهجاً فريداً متميزاً، وإن أهم ما قام به الخليل (عليه السلام) العمل إبطال عبادة الطواغيت بكافة أنواعها، فأستخدم أرقى أنواع الاستدلالات العقلية بفطنة وذكاء، مع بساطة ووضوح، فكان يطرح أسئلة بدهية عقلية على عابدي الأصنام؛ يضطر كل من يجيب عليها القول بحتمية بطلان عبادة الأصنام.

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى إبراز أمرين هامين هما:

أحدهما: إبراز المنهج الأسلم والأرقى للملة الحنيفية المعظمة للنص والمقدمة له.

ثانيهما: بيان قدرة الخليل عليه السلام الاستدلالية العقلية الفائقة على إحقاق الحق، وإزهاق الباطل.

فمنهج الخليل (عليه السلام) في دعوته للإيمان بالله تعالى يعتبر أقوم المناهج وأقدرها على إبطال عبادة كل ما سوى الله تعالى، وهذا ما جعلني أقوم بدراسته، لجمعه بين النقل والعقل، وأنه يقدر كل عاقل على استخدامه، فحق هذا المنهج الظهور والتأييد والانتشار، وهو أحق بذلك من غيره؛ خصوصاً وأنه قد وجدت مناهج تزاحمه مع أنها أدنى منه؛ فوجدت فينا مناهج تعظم العقل، وتقدمه على الوحي، وقابلهم أناس أهملوا العقل، وفراراً من كل ما هو عقلي- زاعمين -اعتمادهم على النص، فصار كلاً من الطائفتين على طرفي نقيض[1]، وهذا المنهج القرآني العقلي يغني ويفي بالمقصود، بإظهاره للحق، وقمعه للباطل.

(١) أنظر الأدلة النقلية العقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبدالعزيز العريفي نشر تكوين الطبعة الثانية ١٤٣٦ه، ص ١٣، بتصرف.

وقد كان اختيار شخصية إبراهيم الخليل عليه السلام أمراً مقصوداً لذاته، فهو عليه السلام إمام يجب الاقتداء به، ولتحقيقه لكمال النجاح الإنساني، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، والمراد معرفته من حياة الخليل (عليه السلام) هو جزء يسير وهو (استدلالاته العقلية على بطلان عبادة الأصنام)، وهذه الجزئية المهمة تظهر شخصية إبراهيم عليه السلام القوية الأثر، المليئة بالدروس والعبر؛ فقد استطاع (عليه السلام) بمنهجه الفذ إفحام خصومه، وإبهات مخالفيه، كما أكد الله ذلك وقصه علينا في كتابه الكريم، وجميع أمتنا اليوم في أمسّ الحاجة للسير على هذا المنهج القرآني، والعمل به، سواء كنا من مدرسة الدليل النقلي المجرد، المهملة للعقل، أو من تلك المدرسة التي ألّهت العقل، وقدمته على كثير من النصوص، فالواجب علينا اللحاق بهذا الركب فنعظم نصوص الوحي للعمل بها، وفي المقابل علينا احترام العقل، وأن لا نقحمه فيما لا قدرة له عليه.

أسباب اختيار البحث:

إن الحديث عن استدلالات الخليل عليه السلام العقلية القرآنية لم يأت من فراغ، وإنما له عدة أسباب أهمها:

١- اظهار أحقية أنبياء الله ورسله- عليهم السلام- بالتقديم على بني جنسهم، وذلك لما تميزوا به من عقول ناضجة، وذكاء حاد، وكياسة فائقة، وما اختيار الله لهم لتبليغ رسالته إلا أصدق دليل على ذلك.

٢- بيان ما انفردت به مناهج الأنبياء- عليهم السلام- من شمولية ومواءمة بين النقل والعقل، وإثبات أن الوحي لا يأتي بما تحيله العقول، وإنما بما تحار فيه العقول .

٣- إبراز ما تتميز به الأدلة النقلية من جوانب عقلية، وجمعها بين الأمرين في معظمها.

مشكلة البحث:

أما المشكلة التي يعمل البحث العمل على حلها فهي تكمن في التساؤل التالي:

هل كان أنبياء الله ورسله- عليهم السلام- يتمتعون بقدرات عقلية فذة؟ وهل جاء الوحي الإلهي ليجمد العقل، ويلغيه؟ أم جاء لينير له الطريق، ويفتح عليه ما اغلق أمامه!؟ وهل تتعارض مخلوقات الله مع كلامه تعالى؟

خطة البحث:

وأما الخطة التي يتألف منها هذا البحث فهي مكونة من مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة.

وفي المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمشكلة التي يعمل البحث على حلها، وخطته الهيكلية التي يتكون منها، وهي:

المبحث الأول: **التمهيد** وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريفات بالدليل، والعقل، والأصنام.

المطلب الثاني: العلاقة بين الشرع والعقل.

المبحث الثاني: **استدلالات إبراهيم الخليل القولية على بطلان عبادة الأصنام،** ويتضمن مطلبان.

المطلب الأول: حواره مع أبيه.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

المبحث الثالث: **استدلالات إبراهيم الخليل الفعلية على بطلان عبادة الأصنام،** ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: خطوات نجاح الفعل.

المطلب الثاني: التنفيذ المحكم للفعل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

التمهيد

المطلب الأول

التعريف بالدليل والعقل والأصنام

أولاً: التعريف بالدليل والاستدلال والدلالة:

بعد الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم وجدت من معاني الدليل ما يلي:

أ- **الدَّليلُ**: يجمع على أَدلَّة وأَدِلَّاء، وهو مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ أي: الَّذي يَدُلُّك كقولهم: دللت فلانا على الطَريق، ودليل فعيل بمعنى فاعل، من الدلَالة، وهي فهم أمر من أمر، ومن معانيه: المرشد، والآية، والعلامة، والأمارة في الشيء، والكاشف، والهادي إلى أي شيء، حسي أو معنوي، خير أو شر[1].

وفي الاصطلاح هو: الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، وهذا مرادف للحجة[2]، وقيل: إنه مجموع طلب العلامة، مع فعل ما جعله علامة؛ كما أنّ العباد إذا دعوا الله فأجابهم، كان ما فعله إجابةً لدعائهم، ودليلاً على أنّ الله سمع دعاءهم، وأجابهم[3].

(١) أنظر لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى نشر دار صادر بيروت الطبعة الثالثة عام١٤١٤ه/ ١١، ٢٤٩ مادة (دلل)، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر دار الفكر عام النشر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.، ٢/ ٢٥٩.، ومختار الصحاح لزين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد نشر المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت صيدا الطبعة الخامسة عام١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص: ١٠٦، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس، نشر المكتبة العلمية بيروت١/ ١٩٩، والنبوات لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان نشر أضواء السلف الرياض الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢/ ٧٣٧.، ومذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م ص٦٢.، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نشر مكتبة لبنان ناشرون بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.، ١/ ٧٩٣.

(٢) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، حققه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ص١٤٠.، والتوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري نشر عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٣٤٠، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٧٨٠.، و١/ ٧٩٧.

(٣) النبوات ١/ ٦٠٣.

ومن مرادفات الدليل الْحجَّة وهي : حجتان : عيان ظَاهر؛ أَو خبر قاهر، وَالْعقل مضمن بالدَّليل، وَالدَّليل مضمن بِالْعقل؛ وَالْعقل هُوَ الْمُسْتَدلّ، والعيان وَالْخَبَر هما علَّة الاَسْتدْلَال وَأصله، ومحالَ كَون الْفَرْع مَعَ عدم الأَصْل، وَكَون الاسْتدْلَال مَعَ عَدم الدَّلِيل[1]. ومما له علاقة بالدليل ويعتبر من مرادفاته الاستدلاَل.

ب- **الاسْتدْلال**: مصدر استدلَّ يستدل استدلالاً يقال: استدلَّ على كذا أي: أثبته بدليل، فهو: تقرير وإقامة، وطلب الدليل مطلقاً من النص، أو الإجماع لإثبات المدلول[2]. وحقيقة الاستدلال بالسنن والعادات، وهذا اعتبار للشيء بنظيره؛ بالتسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين؛ وهو: الاعتبار المأمور به في القرآن، وتكون العبرة به بالقياس والتمثيل[3]. ، ومما يعتبر ثمرة للدليل والاستدلال الدلالة.

ج: **الدّلالة**: هي: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وأصل الدّلالة مصدر[4]، والدَّلاَلَةُ بكَسْر الدَّال، وَفَتْحهَا: مَا يَقْتَضيه اللَّفْظُ عنْدَ إطْلاَقه[5]. فهي: كون اللفظ متى أطلَق، أو أحس، فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي منقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، إن كان له جزء، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام[6].

(١) ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه للحارث بن أسد المحاسبي تحقيق حسين القوتلي نشر دار الكندي، ودار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨ه ص:٢٣٢.

(٢) أنظر تاج العروس ٢٨/ ٥٠٢. والتعريفات، ص ١٧، والتعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي نشر دار الكتب العلمية إعادة صف للطبعة القد يمة في باكستان ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٤.

(٣) النبوات ٢/ ٩٦٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق صفوان عدنان الداودي نشر دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ص ٣١٦-٣١٧.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ١٩٩.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين نشر دار الهداية ٢٨/ ٤٩٨.

والدلالة تنقسم إلى: لفظية، وغير لفظية، وكل واحدة منهما تنقسم إلى عقلية، وطبيعية ووضعية؛ فالدلالة العقلية هي: دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه. أي : استلزام تحقّق الدال في نفس الأمر تحقّق المدلول فيها مطلقا. وتطلق العقلية أيضا على الدلالة الالتزامية وعلى التضمينية[1].

ثانياً: **التعريف بالعقل**:

جاء في معجم مقاييس اللغة: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس يدل على حبسة الشيء، ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[2]، وسمي به لمنعه وحبسه صاحبه عن التورط في المهالك[3]، ويقال العَقْل: للقوّة المتهيّئة لقبول العلم، وللعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: رأيت العقل عقلين، فمطبوع، ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع، فأصل العَقْل: الإمساك، كعقل البعير بالعقَال، وعَقَلَ لسانه أي:كفّه[4].

وحقيقة العقل: أنه اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معانى يرجع إليها معنى العقل هي :

الأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، والعلوم الضرورية، يفرق بها بين المجنون والعاقل، وهو مناط التكليف.

الثاني: الغريزة التي بها يعقل الإنسان ويبصر بها غير البصر، أو قوة يسمع بها غير السمع من العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز؛ بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد.

(١) أنظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٧٨٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٦٩.

(٣) القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ١٣٣٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص: ٥٧٧- ٥٧٨.

الثالث: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه، وترك ما يضره .

الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، وذلك من خلال عمله بعلمه، وهذا من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح[١].

ثالثاً : **التعريف بالأصنام**:

الأصنام : جمع صنم، فالصاد والنون والميم كلمة واحدة لا فرع لها[٢]، والصَّنَمُ: معروفٌ واحدُ الأَصْنام، يقال: إِنَّهُ معرَّب شَمَنْ، وَهُوَ الوَثَن؛ يُنْحَتُ مِنْ خَشَب، ويُصَاغُ مِنْ فضَّة ونُحاس[٣]، وهو كلّ ما عُبد من دون الله من تمثالَ، أو صورة يُزْعم أَنَ عبَادتهَا تقرِّبً إلى الله[٤].

والوثن: الواو والثاء والنون كلمة واحدة، هي واحد الأوثان: حجارة كانت تعبد، وأصلها قولهم استوثن الشيء أي: قو[٥]. والفرق بين الصنم والوثن هو: أن الصَّنَم: مَا كَانَ لَهُ جسمٌ، أو صُورَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جِسْمٌ أو صُورَةٌ؛ فَهُوَ وَثَن، ومَا اتَخذُوهُ مِنْ آلهة فَكَانَ غيرَ صُورَة فَهُوَ وَثَنٌ، فَإِذَا كَانَ لَهُ صُورَةٌ فَهُوَ صَنَمٌ، وَقيلَ: إن الوَثَنَ مَا كَانَ لَهُ جُثَّة مِنَّ خَشَب، أو حَجَر، أو فضَّة يُنْحَت ويُعْبَد، وَالصَّنَمُ الصُّورَةُ بلَا جُثَّة[٦]. والتماثيل: الأصنام، وأصل التمثال : الشيء المصنوع مشابها لشيء من مخلوقات الله سبحانه، يقال : مثّلت الشيء بالشيء إذا جعلته مشابهاً له، واسم ذلك الممثل تمثال[٧].

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي نشر دار المعرفة بيروت ١/٨٥–٨٦. ،وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، تحقيق موسى الدويش نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.ص:٢٦٠– ٢٦١، وماهية العقل ومعناه ص: ٢٠٩ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٣١٤.

(٣) لسان العرب ١٢/٣٤٩ . ، والقاموس المحيط ص:١١٣١. ، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق صدقي محمد جميل نشر دار الفكر بيروت الطبعة ١٤٢٠هـ ٤/ ٥٥٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير نشر المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي ٣/ ٥٦. ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل نشر عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢/ ١٣٢٥.

(٥) مقاييس اللغة ٦/ ٨٥ .

(٦) لسان العرب ١٢/ ٣٤٩. ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٥٦.

(٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، نشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ٣/ ٤٨٦، والبحر المحيط ٧/٤٤٠.

المطلب الثاني
العلاقة بين العقل والشرع

مكانة العقل في الإسلام:

إن مما تميز به شرعنا الحنيف أن بوأ العقل مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، فأمره بالمحافظة عليه، وحمايته من كل ما يضره، أو يفسده، وجعله أحد الضروريات الخمس التي قصد الشارع المحافظة عليها، وهو مناط التكليف، فلا تكليف على فاقد العقل، ومما أختص الله به عباده المؤمنين أن أنزل إليهم وحيه ليهتدوا به، ويعرفوا الحق من الصواب، والهداية من الضلال، ففي الوحي تعويض للقصور والنقص الحاصل في العقل، فاللَّه لم يجَعَلَ لِلْعُقُولِ فِي إِدْرَاكِهَا حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَبِيلًا إِلَى الْإِدْرَاكِ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَاسْتَوَتْ مَعَ الْبَارِي تَعَالَى فِي إِدْرَاكِ جَمِيعِ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ[1].

الحق في تنازع الأدلة النقلية والعقلية:

لقد ظن بعض الناس أنه يوجد تعارض بين الأدلة النقلية، والأدلة العقلية، وعند ذلك يجب تقديم العقل على النقل، ولذا اختلفت اقوالهم في الحكم بينهما، والحق أنه لا يوجد تعارض البتة، ولعل سبب توهم ذلك التعارض هو تلك العقليات المسماة عند اصحابها، حيث جعلوها مسلمات وهي دون ذلك، فرأوا أحقيتها بالتقديم على النقل، لأنه الذي به يعرف صحة النقل، فيقولون: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه، قدمنا العقل!![2].

والحق كما تقدم أنه لا تعارض ألّبتة بين منقول صحيح، ومعقول صريح؛ فإذا جاء ما يوهم مثل ذلك قلنا: إن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي

(١) الاعتصام لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي تحقيق ودراسة محمد بن عبد الرحمن الشقير وسعد بن عبد الله آل حميد وهشام بن إسماعيل الصيني، نشر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع الطبعة الأولى عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٣/٢٨٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لعليّ بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١/٢٢٧– ٢٢٨. والحاوي في تيسير شرح عقيدة الطحاوي لصالح بن محمد مبارك مطهر نشر دار الدليقان ودار أجيال التوحيد الطبعة الأولى ١٤٣٨ه ٢٠١٧م، ص: ١٩٣–١٩٤.

يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة؛ فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقل صحيح أبدا.

ويعارض كلام من يقول ذلك أيضاً بنظيره، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ؛ فلو أبطلنا النقل، لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل ؛لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل، لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه[1].

وحقيقة ما عند المعظمين للعقل الواصفين لأدلته بأشياء مبالغ فيها، فليس فيها شيء من الصواب مما يقولوه، بل قد يكون موقفهم ذلك هو السبب في إيجاد المهملين للعقل، لأن لكل فعل رد فعل، ولذا فإن ما يزعموه من قوة الأدلة العقلية وحجيتها، وقد رد كلامهم هذا شيخ الإسلام- رحمه الله- بقوله : لقد تدبّرت عامّة ما يذكره المتفلسفة والمتكلمة، من الدلائل العقلية، فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر، وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها، وتحذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل، مع كثرتها واضطرابها[2].

وقد كان لوجود أولئك المعظمين للعقل أثر في وجود فرقة أخرى قابلتهم على النقيض مما هم عليه وذلك انهم لّما أحدثوا كلاما مبتدَعا، مخالفا للكتاب والسنّة؛ بل وهو في نفس الأمر مخالفٌ للمعقول، وصاروا يُسمّوَن

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٢٧-٢٢٨. ، والحاوي في تيسير شرح عقيدة الطحاوي ص: ١٩٣-١٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٩/٢٣٢. ، ودرء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام بالسعودية، الطبعة الثانية١٤١١هـ/١٩٩١م، ٥/٢٧٠-٢٧١. ، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لاحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية تحقيق مجموعة من المحققين نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الطبعة الأولى١٤٢٦هـ، ٢/ ١٣٤-١٣٦.

ذلك عقليّات، وأصولَ دين، صار من عَرَفَ أنّهم مبتدعة ضُلاّل في ذلك ينفر عن جنسِ المعقول، والرأي، والقياس؛ فإذا رأى من يتكلّم بهذا الجنس، اعتقده مبتدعاً مبطلاً؛ وهؤلاء، وهؤلاء أدخلوا في مسمى الشرع، والعقل ما هو محمود، وما هو مذموم[1].

والحق أنه لو جاء ما يوهم التعارض بينهما، فلابد لِلْعَاقِلِ فيه من أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يُجْعَلَ الْعَقْلُ حَاكِمًا بِإِطْلَاقٍ، وَقَدْ ثَبَتَ عَلَيْهِ حَاكِمٌ بِإِطْلَاقٍ وَهُوَ الشَّرْعُ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ - وَهُوَ الشَّرْعُ - وَيُؤَخِّرُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ - وَهُوَ نَظَرُ الْعَقْلِ - لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُ النَّاقِصِ حَاكِمًا عَلَى الْكَامِلِ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ فِي الشَّرْعِ أَخْبَارًا تَقْتَضِي ظَاهِرًا خَرْقَ الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ الْمُعْتَادَةِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِنْكَارَ بِإِطْلَاقٍ، بَلْ لَهُ سَعَةٌ فِي أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ وَيَكِلُ عِلْمَهُ إِلَى عَالِمِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَتَأَوَّلَهُ عَلَى مَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَيْهِ مَعَ الْإِقْرَارِ بِمُقْتَضَى الظَّاهِرِ[2].

وإذا قال القائل: نحن إنما قَدحنا في القدر الذي خالف العقل من الشرع، لم نقدح في كل الشرع ؟!

قيل: ومن قدم الشرع إنما قدح في ذلك القدر، مما يقال إنه عقل، لم يقدح في كل عقل، ولا في العقل الذي هو أصل يعلم به صحة الشرع، وكان من قدم العقل على الشرع لزمه بطلان العقل والشرع، ومن قدم الشرع لم يلزمه بطلان الشرع بل سلم له الشرع، ومعلوم أن سلامة الشرع للإنسان، خير له من أن يبطل عليه العقل والشرع جميعا؛ أما إذا قدم الشرع، كان المقدم له قد ظفر بالشرع، ولو قدر مع ذلك بطلان الدليل العقلي، لكان غايته أن يكون الإنسان قد صدق بالشرع بلا دليل عقلي[3].

(١) النبوات ١/ ٣٣٠.

(٢) الاعتصام للشاطبي ٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٧٥-٢٧٧، بتصرف.

وفيما لو حصل نزاع بين من يقدمون النقل على العقل فيقال لمن يعظمون العقل التالي:

إن العقل إن قبل قولكم، فهو لقولنا أقبل، وإن رد العقل قولنا، فهو لقولكم أعظم رداً؛ فإن كان قولنا باطلاً في العقل، فقولكم أبطل، وإن كان قولكم حقاً مقبولاً في العقل، فقولنا أولى أن يكون مقبولا في العقل؛ فدعوى الضرورة مشتركة، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم، فنحن مختصون بالسمع دونكم[1].

موانع التعارض بين المنقول والمعقول:

إن من المسلمات في ديننا أن الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ لا تنافي القَضَايَا الْعُقُلية وذلك من أجه عديدة، ومن أهم تلك الأَوجه ما يلي:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا لَوْ نَافَتْهَا؛ لَمْ تَكُنْ أَدِلَّةً لِلْعِبَادِ عَلَى حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ، لَكِنَّهَا أَدِلَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا جَارِيَةٌ عَلَى قَضَايَا الْعُقُولِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا لَوْ نَافَتْهَا؛ لَكَانَ التَّكْلِيفُ بِمُقْتَضَاهَا تَكْلِيفًا بِمَا لَا يُطَاقُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ مَوْرِدَ التَّكْلِيفِ هُوَ الْعَقْلُ، وَذَلِكَ ثَابِتٌ قَطْعًا بِالاسْتِقْرَاءِ التَّامِّ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْكُفَّارُ أَوَّلَ مَنْ رَدَّ الشَّرِيعَةَ بِهِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ الاسْتِقْرَاءَ دَلَّ عَلَى جَرَيَانِهَا عَلَى مُقْتَضَى الْعُقُولِ، بِحَيْثُ تُصَدِّقُهَا الْعُقُولُ الرَّاجِحَةُ، وَتَنْقَادُ لَهَا طَائِعَةً أَوْ كَارِهَةً[2].

الأدلة الشرعية عقلية:

الأدلة الشرعية تعتبر أدلة عقلية، لأن الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ ضَرْبَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يَرْجِعُ إِلَى النَّقْلِ الْمَحْضِ.

وَالثَّانِي: مَا يَرْجِعُ إِلَى الرَّأْيِ الْمَحْضِ، وَهَذِهِ الْقِسْمَةُ هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُصُولِ الْأَدِلَّةِ، وَإِلَّا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الضَّرْبَيْنِ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْآخَرِ، لِأَنَّ الاسْتِدْلَالَ بِالْمَنْقُولَاتِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ النَّظَرِ، كَمَا أَنَّ الرَّأْيَ لَا يُعْتَبَرُ شَرْعًا إِلَّا إِذَا اسْتَنَدَ إِلَى

(١) أنظر درء تعارض العقل والنقل ٥/٢١١.، وشرح الطحاوية ٢/٢٩١-٣٩٢ والحاوي ص: ٣١٦. مختصراً.

(٢) الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٣/٢٠٨ -٢١٠.

النَّقْلِ[1].

ويقول شيخ الإسلام- رحمه الله-: الأدلة السمعية؛ عقلية، لأنها محتاجة مع قوة دلالتها إلى العقل، ليفهم الدليل ويعمل بمقتضاه، وذلك من خلال قصد الدال على دلالته، والحق أن جميع الأدلة عقلية؛ بمعنى: أنّ العقل إذا تصوّرها علم أنّها تدلّ على مقصود المتكلم، وهي دلالة سمعية[2].

المبحث الثاني
استدلالات إبراهيم الخليل القولية على بطلان عبادة الأصنام

المطلب الأول
حوار إبراهيم الخليل مع أبيه

لقد حرص سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أشد الحرص على هداية قومه الذين بعث إليهم، فدلهم على الإله الحق المستحق للعبادة، ودعاهم لوجوب تحقيق الإيمان بالله وحده، واستخدم لذلك عدداً من الوسائل والأساليب، ومنها أسلوب الحوار، فسمع ما عند مخالفيه، وأسمعهم ما أمره الله بإبلاغه إياهم، وغايته من حواره لهم اظهار الحق والعمل به، ونبذ الباطل، وأسلوب الحوار الذي سلكه الخليل عليه السلام معهم هو أسلوب قرآني، فقد حاور ربنا سبحانه إبليس الرجيم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. فإذا حاور الله إبليس الرجيم؛ فجواز محاورة غيره من باب أولى، فحاور الخليل عليه السلام أباه وقومه عبدة الأصنام، وأبدع وتفنن في محاورته لهم؛ لقد استطاع من خلاله استدراجهم بفطنة وذكاء إلى أن يصلوا بأنفسهم إلى بطلان ما هم عليه من عبادة للأصنام، وذلك من خلال أسئلته العقلية السهلة التي كان يطرحها عليهم، وكل عاقل يقر بمصداقية هذه الأسئلة،

(١) الموافقات ٣/ ٢٢٧.

(٢) أنظر النبوات١/٥٣٩-٥٤٠ بتصرف.

وقوة منطقها وحجيتها، لأن الإجابة عليها تلزم قائلها بالقول ببطلان عبادة تلك الآلهة المصنوعة، واستخدام مثل هذا الأسلوب دليل على رجاحة عقل واضعه، وقوة فطنته، لأنه استطاع أن يجاري المسؤولين ظاهرياً وأن يعمل على مبدأهم فتنقلب إجابته دليلا على فساد ما هو عليه.

وقد تضمنت دعوته (عليه السلام) لأبيه وحواره معه جانب إنساني آخر من التلطف والتودد مع أبيه وراعى فيه حق أبوته عليه، فلم يعنف ولم يتهكم، وإنما بذل قصارى جهده لهدايته، لأن الله عزوجل كلفه بكسر مذهب عبدة الأصنام، وتقرير الحنيفية السمحة، فاحتج عليهم قولاً، وفعلاً، كسراً من حيث القول، وكسراً من حيث الفعل، فقال لأبيه آزر: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا • يَا أَبَتِ إِنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا • يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا • يَا أَبَتِ إِنِي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥]، وذلك إلزام من حيث الفعل، وإفحام من حيث الكسر، فلما أظهر الحجة وبيّن المحجة، قرر وقام الملة الحنيفية الكبرى، والشريعة العظمى[١].

لقد ناظر الخليل (عليه السلام) أصحاب الهياكل "النجوم" وأصحاب الأشخاص "الأصنام"، وكسر مذاهبهما، فابتدأ بكسر مذاهب أصحاب الأشخاص، بأن كسر حجتهم قولاً بقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦]، وكان أباه آزر أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام، ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره، وكان أكثر الحجج معه، وأقوى الإلزامات عليه[٢]، فقال لأبيه: ﴿لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، لقد بيَّن إبراهيم (عليه السلام) لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر، ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير، ولا دفع شر، ولا تغني عنه شيئا. فتبين

(١) أنظر الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني نشر مؤسسة الحلبي ٢/ ٣٧ .
(٢) أنظر الملل والنحل ٢/ ١٠٩ .

بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال، ثم بيّن له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال[1]، وهو العلم الإلهي المستمد من الوحي؛ وإن من أهم ما تضمنه حواره (عليه السلام) مع أبيه في تلك القصة المفعمة بصدق العاطفة والحب والحنان والتوقير لمقام الأبوة، مع حرص الداعي على هداية المدعو، وإرشاده للحق والصواب، وبدئه به، وهو صاحب الأصنام، ما يلي:

أ- أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) أحسن ترتيب كلامه مع أبيه وقدمه له في أحسن اتساق، وأرشق مساق؛ فسلك (عليه السلام) في دعوته أحسن منهاج، وأقوم سبيل[2].

ب- أنه (عليه السلام) أحسن في تأدبه وتلطفه معه، وذلك من آداب الدعوة؛ فنادى أباه مراراً بلفظ الأبوة مع أن الحضرة مغنية عن النداء، وذلك قصداً لإحضار سمعه وذهنه؛ لتلقي ما سيلقيه إليه .

ج- أنه (عليه السلام) ابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس فقال له : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، فذلك حجة محسوسة، ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من ابنه بقوله : يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك[3].

د- أنه (عليه السلام) استطاع أن يفحم أباه بحجة دامغة وهي أن الأب أجهد نفسه كل الجهد، واستعمل كل العلم حتى عمل أصناما في مقابلة الأجرام السماوية، فعجز بقوته العلمية والعملية أن يحدث فيها سمعا وبصرا،، مع أن الأب بفطرته وخلقته أشرف درجة منها، لأنه خلق سميعا بصيرا، نافعا، ضارا، والآثار السماوية فيه أظهر منها في هذا المتخذ تكلفا، والمعمول تصنعا، فيالها من حيرة ! إذ صار المصنوع ! . فلما لم تقبل حجته

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي المتوفى ١٣٧٧ه تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، نشر دار ابن القيم الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م ٢/ ٤٠٦.

(٢) أنظر محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق محمد باسل عيون السود نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ٧/ ١٠٠.

(٣) انظر التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ،ـ نشر الدار التونسية للنشر تونس سنة النشر ١٩٨٤ه ١٦/ ١١٣-١١٤. ، ومحاسن التأويل ٧/ ٩٩.

القولية عدل (عليه السلام) إلى الكسر للأصنام بالفعل ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، فافحمهم بالفعل، حيث أحال الفعل على كبيرهم، كما أفحمهم بالقول، حيث أحال الفعل منهم. وكل ذلك على طريق الإلزام عليهم، وإلا فما كان الخليل كاذبا قط[١].

ه- أنه (عليه السلام) احتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل، لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب، بالكلية، عن محجة الرشاد[٢]، فقدَّم الموعظة على سبيل الاستفهام حتى لا يُشعر أباه بالنقص، أو يُظهر له أنه أعلم منه، فلم يقُلْ من البداية : لم تعبد الشيطان، بل أخّر هذه الحقيقة إلى نهاية المناقشة، وبدل أنْ يقَولَ الشيطان حلّل شخصيته، وأبان عناصره، وكشف عن حقيقته، لأن حقيقة العبادة تعني : طاعةَ العابد للمعبود في أمْره ونَهْيه، ولابد فيها من سماع كلام اوامر المعبود ونواهيه وماذا أعدَّتْ هذه المعبودات لمنْ عبدها؟ وماذا أعدَّتْ لمَنْ عصاها ؟ وما منهجها الذي جاءتْ به حتى تستحقَّ العبادة ؟ وهذا كله لا يوجد شيء منه ألبتة، إذن : فعبادتهم باطلة[٣].

و- أنه (عليه السلام) طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل، من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه، فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم، مع أنها لا تستحق إلا لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام[٤]، ففي الفعل ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤]. إشعار بأن ذلك شيء مصطنع مفتعل، وأن الأصنام ليست أهلا للإلهية، وفيه أيضاً تعريض بسخافة عقله إذ جعل إلهه شيئا هو صنعه[٥].

(١) الملل والنحل ٢/١١٠.
(٢) أنظر محاسن التأويل ٧/١٠٠.
(٣) تفسير الشعراوي[الخواطر] لمحمد متولي الشعراوي، نشر مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م. ١٥/ ٩٠٩٧.
(٤) محاسن التأويل ٧/ ١٠٠.
(٥) التحرير والتنوير٧/٣١٣.

لقد دعا الخليل (عليه السلام) أباه إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسمه بالجهل المفرط، ولا وصف نفسه بالعلم الفائق، وإنما أبان له خطأه في عبادته لتلك الأصنام، لأن العبادة هي غاية التعظيم، فإذا وجهت إلى غير الله تكون ظلماً وكفراً وجحوداً، وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم؛ فكيف إذا وجهت إلى جماد ليس به حس ولا شعور!؟ والمعبود الجماد لا يسمع ذكر عابده له، وثناءه عليه، ولا يرى هيئات خضوعه له، فضلا أن يدفع عنه بلاء، أو يلبي له طلباً[1].

إن إبراهيم (عليه السلام) كان أمة في تعليمه الناس الخير ومقاومته أهل الأرض بالمناصحة والمجادلة الحسنة أولاً فأولاً والأهم فالأهم، فأول ما بدأ بمناصحة أبيه ومجادلته بالتي هي أحسن[2].

وهو (عليه السلام) لم ينكر على أبيه غير أمرين :

أحدهما: جعله الصور آلهة مع أنها ظاهرة الانحطاط عن صفة الإلهية.

ثانيهما: تعدد الآلهة.، والمخاطب لما لم يكن قد سمع الإنكار عليه في اعتقاده قبل ذلك يحسب نفسه على هدى، ولا يحسب أن أحدا ينكر عليه ما هو فيه، ويظن أن إنكار ابنه عليه لا يبلغ به إلى حد أن يراه وقومه في ضلال مبين، فقد يتأوله بأنه رام منه ما هو أولى[3].

وإبراهيم (عليه السلام) صاحب رسالة يجب عليه إبلاغها وإقامة الحجة على المدعوين أياً كانوا، فلا محاباة ولا مهادنة في الحق، ولذا لما رأى (عليه السلام) تصميم أبيه على الكفر سلك معه نوعاً من الغلظة، وذلك بعد استقصاء أساليب الموعظة اللينة، ولعل ذلك قد يكون أنجع في نفس أبيه من بعض، فإن للنفوس مسالك، ولمجال أنظارها ميادين متفاوتة، وليس في ذلك ما ينافي البرور به، لأن المجاهرة بالحق دون سب ولا اعتداء لا ينافي البرور، ولم

(١) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، نشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ٣/ ١٩.

(٢) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد لحامد بن محمد بن حسين بن محسن تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد نشر دار المؤيد الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ص: ١٥٢.

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٣١٣.

يزل العلماء يخطئون أساتذتهم وأئمتهم وآباءهم في المسائل العلمية بدون تنقيص[1].، وكذلك النصيحة في الدين والذم والتوبيخ لأجله، ليس من العقوق[2].

وكونه (عليه السلام) بَدَأَ أَوَّلًا بذكْرِ أَبيه ودعوته فهذا من فقهه وحسن تصرفه، لِأَنَّهُ الْأَهَمُّ عِنْدَهُ في النَّصيحَة، وَإِنْقَاذُهُ مِنَ الضَّلَال[3]، والخليل (عليه السلام) يخشى عَلى أبيه من عاقبَة عبادته لتلك الأصنام والتي ستؤول به إلى عبادة الشيطان، ونسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون إلى حالهم، ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه؛ ولذا قال: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ والمعنى: لا تعبد الأصنام لأن اتخاذها من تسويل الشيطان للذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتها من وساوس الشيطان للذين سنوا سنن عبادتها، ومن وساوسه للناس الذين أطاعوهم في عبادتها، فمن عبد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالا معلوما؛ وفي هذا تبغيض لعبادة الأصنام، لأن في قرارة نفوس الناس بغض الشيطان والحذر من كيده[4].

ونستفيد من قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]. إن هذا هو علة النهي عن عبادة الأصنام، وعبادة آثار وسوسته، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، ويفضي إلى النقمة، ولذلك اختير وصف الرحمان من بين صفات الله تعالى تنبيها على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع[5].

ومع هذا الحب الفياض والأدب الجم والتلطف في الخطاب من الابن لأبيه فإن الأب لم يجد جوابا مقنعا ورد مفحما على دعوة ابنه البار وتساؤلاته ومآلاتها غير قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

(١) التحرير والتنوير ٧/ ٣١٣-٣١٤.
(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٤٠٠.
(٣) البحر المحيط ٧/ ٤٤١.
(٤) التحرير والتنوير ١٦/ ١١٦.
(٥) أنظر التحرير والتنوير ١٦/ ١١٧.

وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. فنظم هذه الآية يدل على أن أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم تمكن الرغبة عن آلهتهم من نفسه، ويهتم بأمر الرغبة عن الآلهة لأنها موضع عجب[١]، وذلك حالة المقلدين التقليد الأعمى.

المطلب الثاني

حوار إبراهيم الخليل مع قومه

غسل الأرضَ الطوفان من وضر الشرك والعصيان، فلم يبق يومئذ على وجهها إلا ناصع الإيمان، ثم تعاقبت الأجيال، حتى ظهرت ببابل من أرض العراق أمة الكلدانَ التي منها النبط قوم إبراهيم (عليه السلام)، فكانوا يعرفون الله ويعبدونه، ويشركون به الكواكب، ويتخذون لها الأصنام تماثيل، فكانوا يعبدون أوثاناً عملوها على أسماء الكواكب السبعة، وجعلوا لكل واحد منها هيكلاً فيه صنمه، ويتقربون إليها بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم[٢]. وقد آلم إبراهيم الخليل (عليه السلام) حال قومه هذا وما هم عليه من معتقدات فاسدة، وديانات محرّفة، فجعل يفكر كيف يخلصهم مما هم واقعين فيه من شركيات وضلالات، فالله أرسله إليهم، ليقيم فيهم توحيده تعالى، وأن يكفروا بكل ما يعبد من دونه، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧]، وليحقق هذا الأمر قَارع الخليل (عليه السلام) قومه بالحجج ونازلهم بالأقوال، فلما لم تنفع فيهم الأقوال أنتقل إلى الافعال، حتى يتركوا الكفريات التي هم عليها، وقد مكّن الله أنبيائه- عليهم السلام- بجعلهم متفوقين على أقوامهم فيما يحسنوه، وقد عظم في زمن الخليل (عليه السلام) سلطان الجدل والمناظرة، فأعطاه الله القدرة

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١١٩.

(٢) رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد الميلي الجزائري، تحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن محمود نشر دار الراية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. ص: ١١٧- ١١٨.

الباهرة على الحجة التي يهزم بها مخالفيه، وأيده الله بآية أخرى، وهي عدم احراق النار له، وفي ذلك رد على قومه المنكرين للأسباب، المؤمنين بأن الطبيعة هي الفاعلة لكل شيء، فأظهر الله على يده خرقا للطبيعة تحديا للطبائعين[1].

وفي هذا برهان على صدق نبوته، فهو نَبِي الْحجَّة وَهُوَ أول من أصل أصُول الدّين بالاستدلال على علم التَّوْحيد، قَالَ تَعَالَى عنه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، نرفع دَرَجَات من نشَاء أي بالْحجَّة الْبَالغَة والعلوم الْعَالية[2].

ومما ناظر الخليل (عليه السلام) قومه فيه ما ذكره الله عنه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ • قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ • الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ • وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٢]، فالخليل (عليه السلام) أرسله الله إلى قوم من الفرس عُتاة جبّارين يعبدون التماثيل، فأنكر عليهم عكوفهم لها، وتقرّبهم إليها فقال لهم (عليه السلام): ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام، تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل، وعبادتهم إياها، فألغوا عقولهم، وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]، فسفه إبراهيم (عليه السلام) أحلامهم، وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة، والضلال المبين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤]، فبين لهم أن التماثيل لا تسمع النداء، ولا تستجيب الدعاء، ولا تملك نفعًا، ولا توقع ضرًا، فلا يليق بعاقل أن يتخذها

(١) أنظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٢٣ السنة ٣٦-١٤٢٤هـ ص ١٧، بحث القرآن الكريم المصدر الأول للتفسير للدكتور محمد بن صالح البراك.

(٢) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بـ ابن خمير تحقيق محمد رضوان الداية نشر دار الفكر المعاصر لبنان الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ص ٨٩.

آلهة مع من فطر السماوات والأرض، وإليه مقاليد الأمور[1].

وبنظرة مجملة للنصوص التي حاور فيها الخليل (عليه السلام) قومه فإننا نرى منهجا بديعاً في حسن دعوته لقومه؛ فقد سأل (عليه السلام) قومه عن منافع تلك المعبودات، فلما لم يجد لها شيئا أعلن براءته منها، وأخبر أنه آمن بالإله الحق المنعم المتفضل وحده لا شريك له، ذو الخصائص الفريدة والنعم الجزيلة؛ وأما عند الغوص والتعمق في تلك الحوارات فسنجد حوارات بليغة مفحمة، قارع فيها الشرك وأهله بالحجج الواضحات، فقاومهم بالحجة تارة، وبالقوة تارة، وبإعلان التوحيد أخرى، وأقام للتوحيد بيتاً بمكة[2].

نشأة ديانة الأصنام:

إن عبادة الأصنام دين دخيل على التوحيد، ولذا أرسل الله رسله لهدمه وبيان بطلانه، وبما أنها تعتبر أقدم دين انحرفت به البشرية عن التوحيد، ولا يزال إلى اليوم، ومذهب هذا شأنه يمتنع أن يكون معلوم البطلان في بديهة العقل، لكن العلم بأن هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الخالق، فعبدة الأصنام لا يعتقدون خلقا لها، وإنما لهم فيه تأويل وهو تغيرات أحوال هذا العالم الأسفل - بزعمهم- فاعتقدوا أن ذلك مربوط بتغيرات الأحوال الفلكية، فبالغوا في التعظيم لها؛ فصوروا أشخاصاً يعكفون عليها، تقربهم إلى الروحانيات، وبهم إلى الله تعالى، فاتخذوا أصناما على مثال الهياكل، فلما رأوا غياب الكواكب عن الأبصار صوروها بصورتها على الهيئة التي تصدر أفعالها، وراعوا جميع الإضافات النجومية، من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منها، وسموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية[3].

وهذا نقوله لنبرهن للقوم علمنا بحقيقة دينهم، وكيف وصل حالهم إلى ما هم عليه من انحراف، وإلا فالأصل في البشرية التوحيد، قال تعالى

(١) مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ص: ١٠١.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٧/ ٩٢.

(٣) أنظر الملل والنحل ٢/١٠٨-١٠٩.، ومفاتيح الغيب التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي نشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة عام١٤٢٠ ه ١٣/ ٣٠-٣١ـ بتصرف .

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فالناس كَانوا أُمَّةً مُجْتَمعَةً عَلَى ملَّة وَاحدَة وَدين وَاحد، فَاخْتَلَفُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذرينَ[(١)]، وقدَ قَاوم رسل اللهً- عليهم الصلاة والسلام- ذلكَ الانحرافَ البشرَي والذي تولت كبره الشياطين، كما في الحديث القدسي: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دينهمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"[(٢)]، فجد واجتهد رسل الله- عليهم السلام- في إبطال كافة الانحرافات العقدية والسلوكية، ومنها عبادة الأصنام، وبالذات المتعلقة بالكواكب من جهتين:

أولاهما: إقامة الدلائل على أن الكواكب لا تأثير لها ألبتة في أحوال هذا العالم، لأنها مسخرة بأمر الله.

الثانية: أنها بتقدير أنها تفعل شيئا وتؤثر في هذا العالم؛ إلا أن دلائل الحدوث حاصلة فيها، فوجب كونها مخلوقة والاشتغال بعبادة الأصل، أولى من الاشتغال بعبادة الفرع، وإذا عرفت هذا ظهر أنه لا طريق إلى إبطال القول بعبادة الأصنام إلا بإبطال كون سائر الكواكب آلهة لهذا العالم مدبرة له[(٣)].

وكذلك كان حال من يعظمون الأولياء والصالحين ويغالون فيهم، وصل بهم الحال إلى عبادتهم، وذلك أنهم كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م، ٣/ ٦٢١.

(٢) الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف به أهلها في الدنيا، رقم الحديث [٢٨٦٥] ٤/٢١٩٧.

(٣) انظر مفاتيح الغيب التفسير الكبير١٣/ ٣٠-٣١، بتصرف.

ذلك[1]، قال البخاري-رحمه الله - في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ؛-واصلها- أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[2]. والخَلِيل (عليه السلام) أرسل إلى كلا الطَائفتين كما مر إلا أن هذا البحث ينصب على إبطال عبادة الأصنام وذلك ما سأتناوله في حوارته مع قومه، والتي تشتمل على قيامه بنبذ الأصنام وعباداتها، ودعوة القوم لضرورة وجوب التوجه بالعبادة للإله الحق سبحانه، فقام (عليه السلام) بنسف ما عليه القوم بحجج العقلية، وأسئلة بدهية، فقوله (عليه السلام) مثلاً: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ مشتمل على ذكر الحجة العقلية إجمالاً، ودليلاً على فساد قول عبدة الأصنام، بإنكاره اتخاذها آلهة، وهي ما هي في عجزها[3]. وكذلك إشارة إلى تقبيح الاشتغال بعبادة غير الله تعالى، لأن كل ما سوى الله حجاب عن الله تعالى[4]. ولعبادة الأصنام إنعكاسات سلبية على عابديها، إذ أن عجزها ينعكس سلباً على عابديها، لأنهم يصيرون سخرية وأضحوكة هم وآلهتهم، والعاقل لا يرضى بذلك، وهذه هي الحقيقة المرة المؤلمة النبي عليها عبدة الأصنام، إلا أنهم يتغافلوا عن ذلك، وإبراهيم (عليه السلام) لا يرضى لقومه أن يكونوا سخرية، ولذا وجه لهم أسئلة توقظ عقولهم، وتبصرهم بحقيقة حالهم، لعله ينتشلهم من كبوتهم التي هم فيها، فمن ذلك قوله (عليه السلام) لهم: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ فصاغ هذا السؤال بأسلوب توجه الاستفهام فيه إلى ذات التماثيل، لإبهام السؤال عن كنه التماثيل في بادىء

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش نشر دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ٨/٢٣٢.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه [صحيح البخاري] لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر نشر دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا ٦/١٦٠، باب (ودا وسواعا ولايغوث) رقم الحديث ٤٩٢٠.

(٣) محاسن التأويل ٤/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٤) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ١٣/ ٣٤-٣٥.

الكلام، إيماء إلى عدم الملاءمة بين حقيقتها المعبر عنها بالتماثيل، وبين وصفها بالمعبودية المعبر عنه بعكوفهم عليها، وهذا من تجاهل العارف، استعمله تمهيدا لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم، فهم يظنونه سائلا مستعلماً، ولذلك أجابوا سؤاله بقولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣].

فإن شأن السؤال بكلمة (ما) أنه لطلب شرح ماهية المسؤول عنه، والإشارة إلى التماثيل لزيادة كشف معناها الدال على انحطاطها عن رتبة الألوهية، والتعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال الذاتي وجاءوا في جوابه بما توهموا إقناعه به، وهو أن عبادة تلك الأصنام كانت من عادة آبائهم، فحسبوه مثلهم يقدس عمل الآباء، ولا ينظر في مصادفته الحق، ولذلك لم يلبث أن أجابهم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ مؤكدا ذلك بلام القسم، وجاء هو في جوابهم بالإضراب عن قولهم أم أنت من اللاعبين، لإبطال أن يكون من اللاعبين، وإثبات أن ربهم هو الرب الذي خلق السماوات، أي وليست تلك التماثيل أرباباً، فلما شذ عنها خلق السماوات والأرض كما هو غير منكر منكم فهي منحوتة من أجزاء الأرض، فما هي إلا مربوبة مخلوقة، وليست أربابا ولا خالقة، فكان جواب إبراهيم إبطالا لقولهم أم أنت من اللاعبين مع مستند الإبطال بإقامة الدليل على أنه جاءهم بالحق، وليس فيه طريقة الأسلوب الحكيم، وقوله: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إعلام لهم بأنه مرسل من الله لإقامة دين التوحيد، ولم يكن يومئذ في قومه من يشهد ببطلان إلهية أصنامهم، فتعين أن المقصود من الشاهدين أنه بعض الذين شهدوا بتوحيد الله بالإلهية في مختلف الأزمان أو الأقطار[1].

وفي قوله لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ هذا سؤال عن سبب عبادتهم، وجعل هذا القول منه ابتداء كلامه لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة فيبطلها عليهم[2]، وفيه أيضاً تَحْقِيراً لَهَا وَتَصْغِيراً لِشَأْنِهَا وَتَجَاهُلٌ بِهَا مَعَ عِلْمِهِ

(١) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٤-٩٦.

(٢) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ٢٢/ ١٥٢.

بِهَا وَبِتَعْظِيمِهِمْ لَهَا، وَفِي خِطَابِهِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنتُمْ﴾ اسْتِهَانَةٌ بِهِمْ وَتَوْقِيفٌ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وكانَ رَدهم وجوابهم عليه هو مجرد التَّقْلِيدِ الْبَحْتِ، وَأَنَّهُ فِعْلُ آبَائِهِمْ؛ اقْتَدَوْا بِهِم مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ بُرْهَانٍ، وَمَا أَقْبَحَ هَذَا التَّقْلِيدَ الَّذِي أَدَّى بِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ خَشَبٍ وَحَجَرٍ وَمَعْدَنٍ، وكان الغاية من سؤاله إياهم أَنْ يَذْكُرُوا شُبْهَةً فِي ذَلِكَ فَيُبْطِلُهَا، فَلَمَّا أَجَابُوهُ بِمَا لَا شُبْهَةَ لَهُمْ فِيهِ وَبان ضَلَالُهُمْ قالَ: لقد كنتم وَآباؤكم في حَيْرَةٍ وَاضِحَةٍ لَا الْتِبَاسَ فِيهَا[1].

وقوله (عليه السلام) لهم في الآية الأخرى: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ناشيء عن امتلاء قلبه بالتوحيد، والغضب لله على المشركين، وذلك كالشيء المشتمل عليه قلبه السليم فصدر عنه منكراً عليهم أن يعبدوا ما يعبدونه، ولذلك أتبعه باستفهام آخر إنكاري، وهو قوله: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦]، فأراد بالاستفهام هنالك التمهيد إلى المحاجة، فصوره في صورة الاستفهام لسماع جوابهم فينتقل إلى إبطاله، كما هو ظاهر من ترتيب حجاجه هنالك، فذلك حكاية لقول إبراهيم في ابتداء دعوته قومه[2]، ثم قال لهم (عليه السلام) ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧] أي : أشككتم فيه حتى تركتم عبادته سبحانه بالكلية، أو أعلمتم أي شيء هو حتى جعلتم الأصنام شركاءه تعالى[3]، وسمي علاقتهم بالله "ظنا" لأنه غير مطابق للواقع ، ولم يسمه علماً، لأن العلم لا يطلق إلا على الاعتقاد المطابق للواقع ، والمعنى: أن اعتقادكم في جانب رب العالمين جهل منكر[4].

وقي قوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ نكتة وهي أنه (عليه السلام) يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه أراد إلزامهم الحجة فقالوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، فلما قالوا هذه المقالة، قال إبراهيم (عليه السلام) منبهاً على فساد مذهبهم: هل يسمعون منكم دعائكم، أو أصواتهم وقت دعائكم لهم، أو ينفعونكم بوجه

(١) البحر المحيط في التفسير ٧/ ٤٤١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٣٨.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ ه ١٢/ ٩٧-٩٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٣٩-١٤٠.

من وجوه النفع، أو يضرونكم إذا تركتم عبادتهم، وهذا الاستفهام للتقرير، فإنها إذا كانت لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر، فلا وجه لعبادتها، فإذا قالوا: نعم هي كذلك أقروا بأن عبادتهم لها من باب اللعب والعبث، وعند ذلك تقوم الحجة عليهم، فلما أورد عليهم الخليل (عليه السلام) هذه الحجة الباهرة، لم يجدوا لها جوابا إلا دعوى التقليد البحت[1].

ثم أخبر (عليه السلام) بأن الأصنام عدو له (عليه السلام) ولم يقل (عليه السلام): "فإنها عدو لكم" وذلك أنه (عليه السلام) صور المسألة في نفسه على معنى إني فكرت في أمري، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها، وآثرت عبادة من الخير كله منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه، فإذا تفكروا قالوا: ما نصحنا إبراهيم (عليه السلام) إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى للقبول[2].

لكنه (عليه السلام) استثنى عدم عداوته لرب العالمين، لأنه المستحق للعبادة، لما يتصف به من الخصائص والصفات دون غيره، فمن تلك الصفات العظيمة التي يتصف بها ربنا تعالى أنه تعالى في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ • وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

هل الشرك محرم عقلا؟

وأحب أن أختم هذا المطلب بسؤال يتبادر إلى ذهني، وربما إلى ذهن غيري، ومفاده: لماذا لا نعبد الأصنام؟ والجواب الحق عن هذا السؤال هو: لماذا تعبد الأصنام أصلاً؟ هل لها شيء من صفات الألوهية تستحق بها؛ من وماذا خلقت؟ ما منافع عباداتها؟ حتى وإن كانت تلك الأصنام تماثيل لمخلوقات وأجرام عظيمة، ففي نهاية الأمر تبقى مخلوقات مملوكات مربوبات، ليس لها من الأمر شيء، فلا يوجد دليل عقلي صحيح على جواز عبادتها فضلاً عن شرعي، فحرمة الشرك ليست ثابتة بالنقل فقط، وإنما ثابتة بالعقل والنقل، لأن

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٢١.

(٢) مفاتيح الغيب التفسير الكبير للرازي٢٤/ ٥١٠.

الأصنام في ذاتها ليست أهلاً للعبادة، ولا يوجد نص في التنزيل على الأمر بعبادتها؛ مع العلم بأن قصد عابد الأصنام هو : تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى- فيرى بزعمه- أنه لعظمته لا ينبغي الدخول على الله إلا بالوسائط والشفعاء، كحال الملوك، فليس قصده الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصده تعظيم الله، وهذه وسائل، وشفعاء، إلا أن هذا العمل يوجب سخط الله، والخلد في عذابه وسفك لدمه، واستباحة حريمه وأمواله، لأنه تشريع بما لم يأذن به الله، ومنح ما يستحقه الله من العبادات لغيره؛ ولو أنا سألنا هنا سؤالاً مفاده: هل يجوز أن يشرع الله سبحانه لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط، فيكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع، أم ذلك قبيح في الفطر، والعقول، يمتنع أن تأتي به شريعة؟ فالجواب: أن الشرائع جاءت بتقرير ما في الفطر والعقول من قبح كل قبيح، وأقبح الأشياء على الاطلاق هو الشرك بالله تعالى، ولذا لا يغفره الله دون سائر الذنوب[1].

المبحث الثالث

استدلالات إبراهيم الخليل الفعلية على بطلان عبادة الأصنام

المطلب الأول

خطوات نجاح الفعل

إن خليل الله (عليه السلام) ذو شخصية فذة، وفكر ثاقب، ورؤية بعيدة، وعقل رشيد؛ تمثل ذلك في حسن تعامله مع قومه، فحاورهم وناظرهم وبيّن لهم بالحجج الدامغة بطلان ما هم عليه، وأبان لهم عدم أهلية تلك المعبودات للعبادة؛ إلا أنهم لم يقنعوا بما قررهم به، فلم يستجيبوا له ففكر (عليه السلام) في القيام بفعل فاصل جلل يهزهم به، وينتشلهم مما هم فيه من ضلال، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، لأن القوم

(١) أنظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي [الداء والدواء] لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، نشر دار المعرفة المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص: ١٢٩. بتصرف.

لم تنفع معهم الْمُحَاجَّة باللِّسَان، فأضطر (عليه السلام) للتحول معهم إلى الحجة الفعلية، فأخبر أنه سيكَسَّرَ أَصْنَامَهُمْ بكيد ومكر، وسيفعل ذلك وهو وَاثِق بِاللَّهِ تَعَالَى، مُوَطِّن نَفْسَهُ عَلَى مُقَاسَاة الْمَكْرُوه في الذَّبِّ عَن الدِّين، وسيكون ذَلِكَ بَعْدَ أَن ينطَلَقوا ذَاهبينَ[1]، لأَن الفعل فَي غيابهم عَن الأَصنام له أثره القوى على نفوسهم من نَاحية، ومن ناحية أخرى لا يستطيع (عليه السلام) القيام بفعله بحضرتهم، وهو (عليه السلام) يريد أيضاً تحقيق فعلا كاملا لا نقص فيه بوجه من الوجوه، لينسف ما نسجوه من أوهام ومعتقدات حول آلهتهم الباطلة، فخطط (عليه السلام) وأحسن التخطيط فنفذ الفعل الذي لا يقدر عليه إلا أحاد الناس العظماء- أمثال رسل الله وأتباعهم الخلص- ممن يصبرون عَلَى تحمل المَشاق في سبيل تبليغ رسالات ربهم، وقد تحقق له ما أراد، فبدت بوادر نجاحه، وأينعت أفكاره التي رسمها، وبرزت نتائج مخططاته الصحيحة والتي كان من أهمها ما يلي:

أ ـ التقدير الكافي للوقت:

إن الفعل الناجح يحتاج لكمية كافية ومناسبة من الوقت، وقد فطن الخليل (عليه السلام) لذلك فحرص على توفير كمية كافية من الوقت ليتمكن من تنفيذ فعله المراد القيام به، لأن الوقت الكافي والمناسب ضروري لنجاح أي فعل، إن الخليل (عليه السلام) يريد تنفيذ فعله وهو بكامل حريته، وأريحيته، ليتحقق له ما يصبو إليه، فهو (عليه السلام) لا يريد فعلاً أرعناً، أو عشوائياً أو مبتوراً لا يحقق نتائج إيجابية، يريد به إبلاغ رسالة ربه لقومه، وإقامة الحجة عليهم، وهكذا تكون الأفعال الصحيحة، فلو لم يتوفر الوقت، ويغيب السدنة، والعابدين عن الآلهة لما تم الفعل، ولذا قيد كيده بالأصنام بعد انصراف المخاطبين؛ إشارة إلى أنه سيلحق الضر بالأصنام في أول وقت التمكن منه، وهذا من عزمه (عليه السلام)، لأن المبادرة في تغيير المنكر مع كونه باليد مقام عزم، وهو لا

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش نشر دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية عام١٣٨٤هـ – ١٩٦٤، ١١/ ٢٩٧. بتصرف .

يتمكن من ذلك مع حضور عبدة الأصنام، فلو حاول كسرها بحضرتهم لكان عمله باطلاً[1]، ومن قوة عزمه (عليه السلام) أنه أكده بالقسم[2].

ب ـ الاعتذار الحسن عن الخروج للعيد:

وحتى يحصل الوقت الكافي فكر الخليل (عليه السلام) بحيلة ذكية وكياسة في التخلص من قومه، لينفذ فعله الذي عزم عليه، فأوهمهم (عليه السلام) أنه مثلهم ينظر إلى النجوم، قال تعالى عن ذلك: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ • فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ • فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٨٨-٩٠].

لقد كان (عليه السلام) عالما فطنا بمعتقداتهم وديانتهم، فجعل نفسه كأنه معهم، لم يظهر لهم مخالفة، ليبعد عنه الأنظار، ويدفع عن نفسه الشبه والظنون، فلا يتوجس قومه من تخلفه عنهم، ولا يقلقوا من غيابه دونهم، سيما وهو يوم عيد وفرح وسرور، الكل يحرص عليه؛ فلماذا يتخلف إبراهيم دونهم، وهو من هو في نظراته وأفكاره لمعبوداتهم، ولذا فإن غيابه بدون عذر مقبول عندهم يسبب ريبة وتوجسا، وهو يفطن لذلك؛ فعندما استشعر وجود الفرصة، لحصول ما عساه أن يكون سبباً لإيمانهم وتوحيدهم أحسن في الاعتذار عن حضور العيد على وجه لا ينكرونه عليه، فأوهمهم (عليه السلام) أنه يتفكر في أحوال النجوم من الاتصال والتقابل، ونحوهما من الأوضاع التي تدل بزعمهم على الحوادث، ليرتب عليه ما يتوصل به إلى غرضه الذي يكون وسيلة الى إنقاذهم مما هم فيه[3].

وهنا تميزت عقلية الخليل (عليه السلام) الذي لم يصادم قومه من أول وهله، وإنما تدرج معهم شيئا فشيئاً، فنَظَرَ في علم النُّجُوم وحسابها؛ إذ لو نظر إلى النجوم أنفسها لقال إلى النجوم وإنما قال في النجَوم، فَقالَ: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وأيا ما كان فهو لم يقل ذلك إلا عن تأول، فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبداً، وكان ذلك منه (عليه السلام) للذب عن دينه، وتوسل

(١) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٧.
(٢) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٧.
(٣) روح المعاني للألوسي ١٢/ ٩٨.

إلى إلزام قومه[1]، وذلك أنه (عليه السلام) لما قرر تكسير الأصنام أخبرهم بأمر يجوز فيه الاعتذار المقبول والمبرر للتخلف عن عيدهم، لينتهز فرصة غفلة القوم عند ذهابهم للعيد، لأن قصده من تخلفه عنهم، أن يتم له الكيد بآلهتهم، فلما وجد الفرصة، أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة[2]، وسقمه كان بسبب كُفْرِهِمْ، فقد مرض قلبه من عبادتهم لتلك الأوثان من دون الله عزوجل[3]، ويعتبر قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، من باب التَوْرِيَة والتَعْرِيض، ومِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ؛ فَإِبْرَاهِيمُ صَادِقٌ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ لِقُرْبِ مَحَلِّهِمْ وَاصْطِفَائِهِمْ عُدَّ هَذَا ذَنْبًا[4].

وقد أحسن (عليه السلام) في اختياره للفظ الكيد في قوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والكيد هو: الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به، وإن كان ذلك لا يتأتى في الأصنام، فجوابه: أنه قال: ذلك توسعاً لما كان عندهم أن الضرر يجوز عليها، وقيل: المراد لأكيدنكم في أصنامكم، لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم[5]، وسمى تكسيره الأصنام كيداً على طريق الاستعارة، أو المشاكلة التقديرية، لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها، فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد[6].

مسألة: أورد صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد: أن بعض المنجمين استدل بآيات على صحة علم التنجيم، منها قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ • فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]، ثم أجاب رحمه الله بقوله: إن هذا من جنس استدلالهم بآية ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]،

(١) روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء نشر دار الفكر بيروت ٧/ ٤٦٩–٤٧٠.

(٢) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١١/ ٣٠١، وروح البيان ٧/ ٤٦٩، وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي تحقيق سامي بن محمد سلامة نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤٢٠ه/١٩٩٩، ٧/ ٢٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م ص: ٧٠٥ .

(٣) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٢٦ . ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ه، ٤/ ٥٥.

(٤) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/٩٢–٩٣. وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٦ . ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٥٥.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ١٥٢–١٥٣.

(٦) التحرير والتنوير ١٧/٩٧.

في الفساد، فأين فيها ما يدل على صحة أحكام النجوم بوجه من وجوه الدلالات؟! وهل إذا رفع إنسان نظره إلى النجوم هو من جنس استدلاله بالآية في الفساد، فأين فيها ما يدل على صحة أحكام النجوم بوجه من وجوه الدلالات؟! وهل إذا رفع إنسان بصره إلى النجوم، فنظر إليها، دل ذلك على صحة علم النجوم عنده؟! وكل الناس ينظرون إلى النجوم، فلا يدل ذلك على صحة علم أحكامها، وكأن هذا ما شعر أن إبراهيم (عليه السلام) إنما بعث إلى الصابئة المنجمين مبطلاً لقولهم، مناظراً لهم على ذلك، فإن قيل: فما فائدة نظرته في النجوم؟ قيل: نظرته في النجوم من معارض الأفعال ليتوصل به إلى غرضه من كسر الأصنام، فمن ظن أن نظرته في النجوم ليستنبط منها علم الأحكام، وعلم أن طالعه يقضي عليه بالنحس، فقد ضل ضلالاً بعيدًا، والحق أنه إنما نظر إلى السماء متفكراً فيما يكذبهم به[1].

المطلب الثاني

التنفيذ المحكم للفعل

أ ـ التهكم بالأصنام وبعابديها:

لقد حسم خليل الله (عليه السلام) أمره بتكسير الأصنام، إلا أنه قبل تنفيذ وعيده، وقبل أن يروغ تلك الروغة الحاسمة بدأ بمخاطبة الأصنام من باب السخرية والإستهزاء قال تعالى واصفا للمشهد: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ • مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ • فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١-٩٣]، حيث بدأ (عليه السلام) بمخاطبتها ساخراً مستهزأ بها وبعابديها فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ سواء كان ذلك الأكل تَرَكُه قومه لِيَأْكُلُوهُ إِذَا رَجَعُوا مِنَ عيدهم، أو لِتُصِيبَهُ بَرَكَةُ الأَصْنَام، أو أنه هو قَرَّبَه إِلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ وَالتهكم[2]، وخاطبها كما يخاطب من يعقل، لأنهم أنزلوها بتلك المنزلة، وأما الاستفهام في قوله: ﴿مَا

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش نشر المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص: ٣٨٤.

(٢) أنظر فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد ص: ١٥٤.، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٩٤.، والتحرير والتنوير ١٧/ ٩٨.، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٧٠٥.

لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ للتهكم بهم، لأنه قد علم أنها جمادات لا تنطق[1]، وسبب مخاطبته (عليه السلام) للأصنام هو: أنه يريد أن يسقط أي حجة يمكن أن يتعلق بها متعلق من قومه، كأنه يقول لقومه: ها أنا ذا مثلكم أخاطب الأصنام، فلم تجب على كلامي، وفيه أيضاً مزيد لإبطال حججهم وتعلقهم بأصنامهم؛ إذ كيف يليق بعاقل أن يعبد هذه الأصنام، وهي أنقص من الحيوانات، التي تأكل أو تتكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلم[2]. إضافة إلى أنه لا يوجد لعبدة الأصنام أي مستند شرعي يستدلون به على استحقاقها للعبادة.

وعندما عرف القوم الفاعل بأصنامهم، قالوا متظاهرين بالعدل والإنصاف، وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك فضلا عن أن يظلموا غيرهم فقالوا: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، حيث بَلَغَ نمروذ وَأَشْرَافَ قَوْمِه الْخَبَرُ فكرهُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ بِغَيْرِ بَيِّنَة- بزعمهم - فَقَالُوا: ائْتُوا به ظَاهِرًا بِمَرْأَى مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرَوْهُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدوا عليه بما قالَ وفعل، لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ، أو يشهدوا عقَابَهُ فَلَا يُقْدِمُ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ، أَوْ لَعَلَّ قَوْمًا يَشْهَدُونَ بِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ يُكَسِّرُ الْأَصْنَامَ، أَوْ طَعْنَهُ عَلَى آلِهَتِهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ- وهذه المعاني كلها مقبولة.

فعندما جاءوا به قَالُوا له: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، فقال (عليه السلام) على جهة الاحْتِجَاج عَلَيْهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] أَي: إِن كَبِيرهم هَذَا غَارَ وَغَضِبَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ هُوَ وَيُعْبَدَ الصِّغَارُ مَعَهُ، فَفَعَلَ هَذَا بِهَا لِذَلِكَ قال: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ فَعَلَّقَ فِعْلَ الْكَبِيرِ بِنُطْقِ الْآخَرِينَ، تَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَى فَسَادِ اعْتِقَادِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: بَلْ هُوَ الْفَاعِلُ إِنْ نَطَقَ هَؤُلَاءِ، وَفِي ضِمْنِ هَذَا الْكَلَامِ اعْتِرَافٌ بِأَنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّهُ عَدَّدَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَدَلَّ أَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعْرِيضِ[3].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٩٤.، وفتح القدير للشوكاني ٤/٤٦١-٤٦٢.

(٢) أنظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٧٠٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٣٠٠-٣٠١.

وعندما قال لهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ عند ذلك رَجَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُجُوعَ الْمُنْقَطِعِ عَنْ حُجَّتِه، الْمُتَفَطِنِ لِصِحَّةِ حُجَّةِ خَصْمِه ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيْ بِعِبَادَةِ مَنْ لَا يَنْطِقُ بِلَفْظَةٍ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ لَحْظَةً، وَكَيْفَ يَنْفَعُ عَابِدِيهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمُ الْبَأْسَ، مَنْ لَا يَرُدُّ عَنْ رَأْسِهِ الْفَأْسَ[1].

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) قد قال لهم متعمداً: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ لِيَقُولُوا: إِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يَنْفَعُونَ، وَلَا يَضُرُّونَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: فَلِمَ تَعْبُدُونَهُمْ؟ فَتَقُومُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ مِنْهُمْ، وَلِهَذَا يَجُوزُ عِنْدَ الْأُمَّةِ فَرْضُ الْبَاطِلِ مَعَ الْخَصْمِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ فِي الْحُجَّةِ وَأَقْطَعُ لِلشُّبْهَةِ[2].

والقوم بعد رجوعهم من عيدهم لم يعرفوا الفاعل من أول وهلة حتى اكتشفوا أنه إبراهيم (عليه السلام)، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم، فقال لهم: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فعندما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] فنجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾[3]، فهم لما عاتبوا إبراهيم (عليه السلام) على تكسير الأصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد المصير إلى عبادتها فقال لهم:" أتعبدون ما تنحتون "ووجه الاستدلال ظاهر، وهو أن الخشب والحجر قبل النحت والإصلاح ما كان معبوداً للإنسان ألبتة، فإذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه إلا آثار تصرفه، فلو صار معبوداً عند ذلك لكان معناه أن الشيء الذي ما كان معبودا لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبوداً عند ذلك، وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل[4].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣٠٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣٠٠-٣٠١.
(٣) تفسير ابن كثير ٧/ ٢٤.
(٤) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ٢٦/ ٣٤٣.

ب ـ حنكة تكسير الأصنام:

بعد تهكمه (عليه السلام) بالأصنام وعابديها، حانت ساعة الصفر، وسنحت الفرصة للقيام بتنفيذ الفعل، وبذا ينتقل (عليه السلام) من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد؛ فأعلن عزمه على ذلك[1]. فقام (عليه السلام) بروغته على الفور، ودون أي تردد، أو وجل، كل ذلك طلبا لمرضاة ربه، فمال وراغَ عليها روغة واحدة ضَرْباً وتحطيماً بيَمينه القوية، لأنها أشد وأنكى حتى تركهم جذاذا[2]، فبر بيمنيه الَّتي حَلَفَهَا، فَفِي جَعَل الْأَوْثَانَ فُتَاتًا كَالسَّويقُ[3]، وحطمها إلا كبيراً لهم، فأقبلوا إليه مسْرِعُينَ، ولم يكن يتبادر إلى أذهَانهم أنه (عليه السلام) الفاعل؛ لولا ما سبق من توعدَه بالكيد لآلهتهم، ويجوز التغير باليد مع القدرة فمن القواعد الشرعية أن المنكر يزال بقدر الإمكان، وإزالته باليد لا تكون إلا مع المكنة[4].

وبعد أن حطم الخليل (عليه السلام) الأصنام وجعلها جذاذا، جاءه قومه مسرعين يُرْعِدُونَ ويزبدون غَضَبًا يقولون: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قيل لهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ يقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ • فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ فوبخوه ولاموه[5].

وقد تجلت في تكسيره هذا حنكته (عليه السلام) ودل ذلك على أن خطواته كانت صائبة ناجحة، لأنه لم يفتت كل الأصنام، وإنما استثنى كبيرهم رجاء أن يرجعوا إلى استشارته، ليخبرهم بمن كسر بقية الأصنام، فهو يعلم أن جهلهم يطمعهم في استشارته، أو استشارة سدنته ليخبروهم بما يتلقونه من وحيه المزعوم[6]، فالقوم عادوا من عيدهم إلى آلهتهم ففوجئوا بأن وجدوها

(١) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٢٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٩٤.
(٤) أنظر التحرير والتنوير ١٧/ ٩٧.
(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٧٠٥.
(٦) التحرير والتنوير ١٧/ ٩٨.

محطمة فبحثوا عن الفاعل، فتناقلت الأخبار أنه إبراهيم (عليه السلام) فسألوه قائلين: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢] فأجابهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وهنا أسقط في أيدي القوم، وتمنوا حينها أنهم لم يسألوه، لأنه أصابه في مقتل، حيث ظهر عجز آلهتهم، بل ظهرت الآن نتيجة استدلاله الفعلي العقلي بتحطيمه للأصنام، واتضح مدي البيان والبلاغ الذي أراده (عليه السلام) لقومه، وعندما قالَ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ رَجَعُوا إلى أَنْفُسِهِمْ وراجعوا عقولهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بهذا السؤال، أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع، لا من ظلمتموه بقولكم إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة، فشبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه، فقالوا مقرين بعجز آلهتهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: كيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول، فقالَ لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر، فإنه ينافي الألوهية.

فقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين، وأُفّ صوت المتضجر، ومعناه قبحاً ونتناً؛ أَفَلا تَعْقِلُونَ قبح صنيعكم؛ فقالُوا أَخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة، حَرِّقُوهُ فإن النار أهول ما يعاقب به، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بالانتقام لها. إِنْ كنتم ناصرين لها نصراً مؤزراً[1].

مكاسب فعل إبراهيم:

لقد حقق تحطيم الخليل (عليه السلام) للأصنام مكاسب عظيمة وثمارا يانعة، لأن أفعاله كانت مدروسة النتائج، محسوبة العواقب، مضمونة المكاسب، فمن أهمها، ما يلي:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٥٥.

أ- عجز الأصنام عن الأكل، عندما قربه إليها؛ لا عن غنى، وإنما عن ضعف، وعجز.

ب- عدم قدرة الأصنام على الكلام فلم تنطق للرد عليه، وفي ذلك دليل على عدم أهليتها للألوهية، وقد اعتراف القوم بذلك، كما قال لهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فأقروا بأفواههم قائلين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، فاحتج (عليه السلام) عليهم بما أن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق، ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة؛ فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلها؟[1]، وحينها وجد (عليه السلام) عند هذه المقالة موضع الحجة، وأوقفهم موبخا على عبادتهم تماثيل لا تنفع بذاتها ولا تضر، ثم حقر شأنها، وأزرى بها في قوله: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

ج- عجز الآلهة عن حماية ذاتها، دليل على عدم أهليتها للألوهية، فعجزها عن حماية غيرها من باب أولى

د- قد يحصل للكفار شيء من مراجعة النفس عند ظهور الحق، وانكشاف الباطل؛ إلا أنهم لا يلبثوا أن يعودوا مصرين على باطلهم أقوي من ذي قبل، مستنفرين جميع قواهم، بكل غطرسة وجبروت وكبرياء.

هـ- حاجة الأصنام لمن ينصرها، لذا قرر القوم نصرها، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم، فقالوا: حَرِّقُوهُ لأنهم لَمَّا انْقَطَعُوا بِالْحُجَّةِ أَخَذَتْهُمْ عِزَّةٌ بِإِثْمٍ وَانْصَرَفُوا إِلَى طَرِيقِ الْغَشْمِ وَالْغَلَبَةِ وَقَالُوا: حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بِتَحْرِيقِ إِبْرَاهِيمَ، لأَنَّهُ يَسُبُّهَا وَيَعِيبُهَا[3].

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، تحقيق د.فوقية حسين محمود نشر دار الأنصار القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧ه، ص: ٧١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحاربي تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه، ٤/ ٨٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣٠٣.

و- عجز النار عن النيل من الخليل (عليه السلام) بأي أذى، فظهرت قدرة الله في سلب خاصية الاحراق منها، لقوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فالله جَعَلَ فِيهَا بَرْدًا يَرْفَعُ حَرَّهَا، وَحَرًّا يَرْفَعُ بَرْدَهَا، فَصَارَتْ سَلَامًا عَلَيْهِ[١]، وذلك برغم شدتها وعظم البناء المصلي بها، لقد بنوا بُنْياناً من الحجر، وملؤوه حطباً، وأضرموه ناراً شديدة، فأرادُوا به كَيْداً بإلقائه في النار، فَجَعَلْهُمُ الله المقهورين عند إلقائه، حين خرج من النار سالماً، فعلاهم بالحُجة والنصرة[٢]. وكان في إنجاء الله لإبراهيم (عليه السلام) آيات واضحات، على عظيم قدرة الله، فلم تحرقه النار، ولا أثرت فيه، بل صارت إلى حالة مخالفة لما هو شأنها من الحرارة والإحراق[٣]، فإن النار الشديدة الاتقاد العظيمة الاضطرام صارت بعد إلقائه برداً وسلاماً، ولم تؤثر فيه أقل تأثير، فكان ذلك من الحجة بمكان، يفهمه كل من له عقل، وصار المنكر له سافلا ساقط الحجة ظاهر التعصب واضح التعسف[٤].

ونطرح هنا سؤال عن حقيقة حال أولئك الأقوام: هل هم عقلاء؟ أو لم يكونوا عقلاء؟ فإن كانوا عقلاء، وجب أن يكونوا عالمين بالضرورة أن تلك الأصنام لا تسمع ، ولا تبصر، فأي حاجة في إثبات ذلك إلى كسرها؟ أقصى ما في الباب أن يقال: القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف، والمسجد، وكسرها لا يقدح في كونها معظمة من هذا الوجه؛ وإن قلنا: إنهم لم يكونوا عقلاء وجب أن لا تحسن المناظرة معهم، ولا بعثة الرسل إليهم.

والجواب عن ذلك هو: أنهم كانوا عقلاء، وكانوا عالمين بالضرورة أنها جمادات، ولكن لعلهم كانوا يعتقدون فيها أنها تماثيل الكواكب، وأنها

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣٠٤.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ،ـ تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان نشر الدكتور حسن عباس زكي القاهرة الطبعة ١٤١٩هـ ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ٤/ ٦٠٧، بتصرف .

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٢٩.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، بتصرف.

طلسمات موضوعة بحيث إن كل من عبدها انتفع بها؛ وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد، ثم إن إبراهيم (عليه السلام) كسرها مع أنه ما ناله منها البتة ضرر، فكان فعله دالاً على فساد مذهبهم[1].

وإجمالاً ففي كل ما تقدم تقرير للتوحيد بأبلغ أسلوب، وأقوى حجة، ونفي للشرك بأوضح بيان، فضلاً عما فيه من تحقير للأصنام، وسخرية بالغة بعبادها، وذلك أن معبودات القوم قد حطمت وسويت بالأرض، فلم تستطع أن تدافع عن نفسها، فكيف يرجون أنْ تدافع عنهم، أو أن تصيبهم بالخير، أو تمسهم بالشر والمكروه، وزيادة على ذلك فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم[2].

وبعد فلم يستطع قوم الخليل (عليه السلام) إثبات أي حجة صحيحة على صحة ديانتهم، وأهلية آلهتهم، وإنما انقلبوا خائبين، فبان بطلان ما هم عليه من معتقدات، حتى كيدهم لإبراهيم في الأمور المادية بإحراقه ، قلبه الله عليهم؛ فجعل النار المحرقة برداً وسلاماً، وبذا أظهر الله برهانه عليهم بالحجة والعلم، وأظهره عليهم بالقدرة؛ حيث أذلهم ونصره عليهم؛ ففاقهم فيما كانوا بارزين فيه من جدل وحجاج، وفاقهم في إبطال مفعول النار المادية المحرقة، وجعل الله خسارة قوم إبراهيم (عليه السلام) عذابا معنويا، فلم يأخذهم كما أخذ المكذبين من قبلهم بسنة عامة[3].

(١) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ٢٢/ ١٥٤.

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ١/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٣) النبوات ١/ ٢٠٩-٢١٠. بتصرف.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من جاء بخاتم النبوات والرسالات وعلى آله وصحبه، فبعد هذا التطواف بين يدي استدلالات خليل الله إبراهيم (عليه السلام) وحججه العقلية التي طرحها على قومه عبدة الأصنام خلصت إلى ما يلي:

أن الله أنزل وحيه المعصوم ليرتقي بعقل الإنسان، وليفتح له أفاقا رحبة من العلوم والمعارف في الغيب والشهادة.

أن الأصل في العقل أنه وسيلة للمعرفة، لا مصدرا لها، ولذا دعا الوحي لإعماله، ونهى عن إلغائه.

أن المنهج العقلي خالف الوحي، في التقليل من قيمته، ولي أعناق نصوصه، وجعل القواعد العقلية- المزعومة- هي المحكمات، ولذا فهو لا يعتمد على الوحي وبجعله مسلّمات، وإنما يذكره للاعتضاد فقط.

أن منهج الأنبياء عموماً وإمام الملة الحنيفية- عليهم السلام- خصوصاً، جدير بالإقتداء والتأسي.

أن استدلالات الخليل (عليه السلام) العقلية من أروع ما يمتع العقل ويذكيه وينشطه، ويجعله متفوقا.

أن رحلة الخليل (عليه السلام) الدعوية مليئة بالدروس والعبر والمواقف العظيمة، ولا يزال الكثير منها غضا طرياً يحتاج إلى من يستخرج مكنوناتها، ويفض أبكارها.

العمل على تحريك عقول المدعوين، وإيقاظها، أولى من جعلهم مجرد متلقين مطيعين طاعة عمياء.

ضرورة إيجاد البديل الصالح أولى من ترك الميدان خاليا، حيث دل الخليل (عليه السلام) قومه على الإله الحق بعد أن بيّن لهم عجز آلهتهم، حتى لا يبقوا هملا بلا معبود، وأن يضع أمامه أكثر من حل لمدعويه.

الاستماع لما عند المخالف ومحاورته فلعل لديه شبهة فتزال، أو فهم خاطئ فيصوّب.

أن يدرس العواقب والنتائج لكل مرحلة يخطوها، وأن يهيأ نفسه لكل الاحتمالات.

أن نثق في الله تعالى، وفي حفظه لدينه، ونصره لأوليائه، فلم يترك الله تعالى خليله (عليه السلام) مع أن الكل كان ضده، وهو وحيدا ليس معه أحد إلا الله تعالى، وكفى به حسيبا، وكفى به نصيرا.

التوصيات:

إن أهم ما يوصي به الباحث ما يلي:

١- ضرورة دراسة أعلام الأمة المؤثرين، الجامعين بين النقل والعقل، كنماذج من الصحابة، والتابعين، والسادة العلماء، كالشافعي، والبخاري، والشاطبي، والذهبي وغيرهم ممن تركوا تراثا حافلا حقيق بالبحث والدراسة من الناحية العقلية.

٢- دراسة الفنون العلمية التي أبدع وتخصص فيها علماء الأمة، لأنهم كانوا موسوعات علمية في أكثر من فن، لأن تراثنا القائم على الوحي زاخر بمميزات فريدة، تحتاج إلى إبراز محاسنها، واظهار مناقبها.

٣- دراسة عقليات علمية منهجية تميزت في جوانب فاقت فيها غيرها، كعقلية الصديق المتفوقة إيمانيا، وعقلية البخاري أمير المؤمنين في الحديث، المبدع في تراجمه وتبويباته في جامعه الصحيح-مثلاً-.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري تحقيق د. فوقية حسين محمود نشر دار الأنصار القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٣- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي نشر دار المعرفة بيروت.

٤- الأدلة النقلية العقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبدالعزيز العريفي نشر تكوين الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.

٥- الاعتصام لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي تحقيق ودراسة محمد بن عبد الرحمن الشقير وسعد بن عبد الله آل حميد وهشام بن إسماعيل الصيني، نشر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع الطبعة الأولى عام ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي نشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ ه.

٧- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق صدقي محمد جميل نشر دار الفكر بيروت الطبعة ١٤٢٠ه.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان نشر الدكتور حسن عباس زكي القاهرة الطبعة : ١٤١٩هـ ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٩- النبوات لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، نشر أضواء السلف، الرياض السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير نشر المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي.
١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق موسى الدويش نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الثالثة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٢- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لاحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية تحقيق مجموعة من المحققين نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٣- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين نشر دار الهداية ٢٨ / ٤٩٨.
١٤- التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣هـ نشر الدار التونسية للنشر تونس سنة النشر ١٩٨٤هـ.
١٥- التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي نشر دار

الكتب العلمية إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني حققه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٧- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري نشر عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٨- تفسير الشعراوي، [الخواطر] لمحمد متولي الشعراوي، نشر مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

١٩- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي تحقيق سامي بن محمد سلامة نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩.

٢٠- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خمير تحقيق محمد رضوان الداية نشر دار الفكر المعاصر لبنان الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق زهير الشاويش نشر المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن

غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

٢٣- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر نشر دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ شرح وتعليق د.مصطفى ديب البغا.

٢٥- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش نشر دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية عام١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٢٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي [الداء والدواء] لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية نشر دار المعرفة المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- الحاوي في تيسير شرح ابن أبي العز لعقيدة الطحاوي لصالح بن محمد مبارك مطهر نشر دار الدليقان، ودار أجيال التوحيد الطبعة الأولى ١٤٣٨ه ٢٠١٧م.

٢٨- درء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٩- رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد الميلي الجزائري، تحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن محمود نشر دار الراية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٠- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء نشر دار الفكر بيروت.
٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي تحقيق علي عبد الباري عطية نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ه ..
٣٢- شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني نشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
٣٤- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد لحامد بن محمد بن حسين بن محسن تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد نشر دار المؤيد الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٣٥- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله نشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٣٧- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى نشر دار صادر بيروت الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ.
٣٨- ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه للحارث بن أسد المحاسبي تحقيق حسين القوتلي نشر دار الكندي ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
٣٩- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٢٣ السنة ٣٦-١٤٢٤هـ ص ١٧، بحث القرآن الكريم المصدر الأول للتفسير للدكتور محمد بن صالح البراك .
٤٠- مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ١٩ / ٢٣٢ تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٤١- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي المتوفى: ١٣٣٢هـ تحقيق محمد باسل عيون السود نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.
٤٣- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي تحقيق يوسف الشيخ محمد نشر المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت صيدا الطبعة الخامسة عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٤- مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٥- مذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الخامسة،٢٠٠١م.
٤٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس نشر المكتبة العلمية بيروت.
٤٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي تحقيق عمر بن محمود أبو عمر نشر دار ابن القيم الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
٤٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش نشر دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٤٩- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل نشر عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٥٠- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر دار الفكر عام النشر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٥١- مفاتيح الغيب التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي نشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة عام١٤٢٠ه.
٥٢- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق صفوان عدنان الداودي نشر دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

٥٣- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني نشر مؤسسة الحلبي.
٥٤- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٥٥- الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٥٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي المتوفى بعد ١١٥٨هـ تقديم وإشراف ومراجعة د.رفيق العجم تحقيق د.علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناني نشر مكتبة لبنان ناشرون بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.